مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد07 / العـدد: 01 (2021)، ص 373- 392

إشكالية العيش المشترك داخل التجمعات السكنية الحضرية

The difficulties of the Common living Inside the civil social housing

ط.د. داني هشام[1*]، أ.د. سيكوك قويدر[2]
[1] جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم (الجزائر)، danihichem88@gmail.com
[2] المركز الجامعي نور البشير البيض (الجزائر)، k.sikouk@cu-elbayadh.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/23 تاريخ القبول: 2021/06/01 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص:

من خلال دراسة ميدانية أجريناها على أحد أكبر التجمعات الحضرية بمدينة مستغانم، نحاول أن نقدم فهما سوسيولوجيا لمعيش السكان داخل هذا النمط العمراني و ذلك من خلال مدى رضاهم وتأقلمهم مع طبيعة الحياة داخل هذه التجمعات و مدى اندماجهم داخل هذه البيئة و التي تعتبر صورة مصغرة عن المجتمع، و كيفية تعايشهم داخلها، كما تبحث الدراسة في الجانب الاجتماعي للعلاقة بين السكن و السكان و السكان فيما بينهم داخل هذا الفضاء العمراني الذي يتميز بنمطه العمودي في بناء المساكن.

و قد اعتمدنا في دراستنا على الاقتراب الكيفي من خلال إجراءمجموعة من المقابلات النصف موجهة مع سكان حي 1000 مسكن عدل بالقطب الحضري الجديد الحشم بمدينة مستغانم "20 حالة"

كلمات مفتاحية:المدينة، التجمعات السكنية الحضرية،السكن، العيش المشترك،الأجزاء المشتركة.

Abstract:

Through our civil studies we had about the biggest civil social communites in the city of Mostaganem, wetry to give a sociological explanation to the peoples living inside this building socio-community from their adaptation and the behavingin these living conditions, trying to model a heir lives in this way which is just a little example from the whole society, It is also showing the relation that exists the inhabitants and their houses and also the inhabitants among themselves inside these building which architective is the long ones, We

*المؤلف المرسل

had our research, doing some interviews with the 1000 ADL housing in the Hchem district in Mostaganem. We had 20 cases.

Keywords: City or town ;The civil inhabitants groups ; The Housing ; The Common living ; The common parts.

1.مقدمة:

إن المجتمع يعتبر تأليف معقد يشمل كل من البيئة (الطبيعية والفيزيائية) إضافة إلى السكان والتنظيم الاجتماعي والمؤسسات والبنى المتفاعلة فيما بينها، ومع باقي المجتمعات الأخرى. وقد عرف المجتمع الجزائري نموا سكانيا سريعا خصوصا في العقدين الأخيرين حيث بلغ مؤشر النسبة الزيادة الطبيعية في السنة أكثر من 2% كما صاحب هذا النمو ارتفاع رهيب لسكان المدن حيث أصبحت الأغلبية الساحقة من السكان تتمركز بها، نظرا لما توفره هذه الأخيرة من فرص للعمل خصوصا في القطاعين الصناعي والتجاري إضافةإلى سهولة المواصلات، وتنوع مجالات التعليم ووجود مراكز صحية ومستشفيات، وكذلك نوادي الرياضية ومحلات التجارية وغيرها. وأمام هذا النمو السريع في التركيبة السكانية للمدن الجزائرية والتي تعتبر مدينة مستغانم إحداها والتي هي موضوع الدراسة، قد زاد الطلب على جميع الخدمات التي تقدمها المدينة خصوصا السكن. وبالتالي كان من الضروري تنظيم الوعاء العقاري المخصص لاحتواء البرامج السكنية. ونتيجة لذلك ظهرت فكرة الأبنية المقسمة الى طوابق وشقق عديدة في طابق واحد. وهو ما يسمح بإسكان عدد كبير من العائلات في مساحة ارض صغيرة (إذ أن التوسع هنا يكون نحو الأعلى). إضافةإلى مزايا أخرى يوفرها هذا النمط من المعمار كانخفاض كلفة البناء والسرعة في الانجاز"نسبيا". ويمكن رد الظهور الأول لهذا النمط المعماري في مدينة مستغانم والمدن الجزائرية بشكل عام إلى مشروع قسنطينة في فترة الاحتلال الفرنسي. وباعتبار أن المجتمع المديني هو مجتمع شديد التنوع و الاختلاط، فإننا نحاول من خلال هذا البحث الاستطلاعي التعرف على كيفية العيش داخل هذه التجمعات الحضرية،ومدى تأقلم

السكان مع هذا النمط العمراني وخصائصه من خلال الإجابة عن تساؤل رئيسي عن الكيفية التي يتعايش بها السكان القاطنين داخل التجمعات السكنية الحضرية ومدى تقبلهم وانسجامهم للعيش داخل هذه البيئة الحضرية وماهي الإشكالات التي تعترض حياتهم داخلها.و نهدف من خلال الدراسة إلى الكشف عن أزمة مدننا اليوم وكذا الكشف عن الواقع الفعلي للأحياء السكنية المنشئة حديثا، وإبراز الصورة و الواقع الذي تقدمه لنا هذه التجمعات السكانية باعتبارها صورة مصغرة عن المجتمع، ومدى تعايش السكان مع هذا النمط العمراني و فيما بينهم.

و بما أن طبيعة أي بحث تتحكم في اختيار نوع الأدوات المنهجية المستعملة، و لكون أن موضوع بحثنا يتطرق إلى العيش المشترك داخل التجمعات السكنية فقد لجأنا إلى"الاقتراب الكيفي"(QUIVY R.CAMPENHOUDT LC,1995) معتمدين على المقابلة النصف موجهة لجمع معطيات تتعلق بالسكان أنفسهم و الصورة التي يحملونا عن الحياة داخل التجمعات السكنية و درجة الرضا عن ذلك،"لأن الابتعاد عن التوجيه في المقابلة يسمح بتعابير تلقائية لما يحس به وما يعتقده وما يتصوره المبحوثين"(HADJIJ E,2006 :25) وأجريت المقابلات مع عينة عشوائية مكونة من 20 مبحوث يشترط فيهم السكن بالحي الحضري 1000 مسكن عدل بالقطب الحضري الجديد الحشم، والذي يقع أعلى هضبة الظهرة في الجهة الشرقية من مركز المدينة و هو عبارة عن منطقة توسع عمراني تستقطب العشرات من المشاريع السكنية لتخفيف الضغط عن الأوعية العقارية داخل المجال المركزي للمدينة و هذا نتيجة لسياسة التوسع المجالي المطبقة من طرف الدولة من خلال استغلال الأراضي التابعة لمديرية أملاك الدولة.

2. **التوسع العمراني لمدينة مستغانم و تشكل صورة المدينة الحديثة:**

مستغانم مدينة ساحلية جزائرية تطل على البحر الأبيض المتوسط،هي مركز الولاية رقم 27 بالجزائر،و تعتبر المدينة الوحيدة التي يقطعا خط غرينش. "مساحتها 2269كلم^2" (PDAU,2004)أما عدد سكان فبلغ حوالي 158446 نسمة حسب آخر تعداد

سكاني. بالنسبة لحدود الولاية فإنه يحدها البحر الأبيض المتوسط شمالا، أما غربا ولاية وهران، وشرقا تحدها ولاية الشلف في حين تحدها جنوبا كل من ولايتي غليزان ومعسكر.

خريطة 1 : موقع ولاية مستغانم

أمافيما يخص الحدود الإدارية لبلدية مستغانم فهي: البحر الأبيض المتوسط شمالا. ومن جهة الشمال الشرقي نجد كل من بلدية بن عبد المالك رمضان،وعين بودينار.أما الجنوب الشرقي نجد بلدية عين بودينار، وبلدية خير الدين، وبلدية صيادة.أما جنوبا فكل من بلدية مزغران، حاسي ماماش.

خريطة 2 :موقع بلدية مستغانم

تاريخيا لم يتوصل الباحثون إلى تحديد تاريخ دقيق لنشأة المدينة، و هذا لتعدد الروايات التاريخية حول المدينة، ولكن اتفق أغلب المؤرخين على أن تاريخ المدينة يعود إلى الحقبة الفينيقية إذ كانت المدينة عبارة عن ميناء لسفنهم وقد أطلقوا عليها اسم "موريستاغة" .

هذه الأصالة التاريخية لمدينة مستغانم جعلها تعرف العديد من الأنماط العمرانية بداية **بالمدينة العربية الإسلامية أو مرحلة ما قبل 1833:** ترجع أهمية مستغانم إلى الفترة العثمانية،وكانت توصف على أنها مدينة صغيرة تحتوي على أسواق، حمامات،وحدائق...، و قد أثرت طوبوغرافية المنطقة على التنظيم المجالي لها حيث أسست ثلاثة وحدات على حافتي واد عين الصفراء:

*-الدرب: هو إحدى الوحدات تتضمن أهم البنايات الدينية و الإدارية القديمة لخدمات و مصالح البايلك، المسجد الكبير(1341-1342) تحت الحكم المريني، برج محال،قصر الباي محمد الكبير و زاويتين.

*-المطمر:هو حي يقع على الجانب الآخر للواد على أراضي المدينة بحصن الشرق.

*-تجديديت: هو حي يقع في شمال المطمر على نفس الضفة من الواد، تأخذ نفس الشكل للواد و للأراضي ذات الانحدارات.تعتبر هذه المدينة كوحدة مستقلة في المجال الوظيفي، مدعمة بواسطة مناطق روحية مثل المقامات و المساجد الصغيرة،مجمل هاته الوحدات متجانسة لتشكل المدينة العربية الإسلامية. وغالبية المبحوثين تمكنوا من تسمية الأحياء القديمة التي تعود إلى الفترة العثمانية وهذا يرجع لخاصية نمطها العمراني و كذا لتدهوره و هو مايسهل عملية التعرف عليه و تمييزه .

و بعد سقوط المدينة تحت الاستعمار الفرنسي ظهرت **المدينة الكولنيالية:** لتعرف المدينة دخول نمط البناء الغربي ويمكن تقسيم عمليات التوسع العمراني إلى ثلاث مراحل.المرحلة الأولى 1833-1848:هذه المرحلة عرفت نمو عمرانيا بطيئا، وذلك لاهتمام السلطات الاستعمارية بالجانب العسكري من أجل تثبيت قبضتها على المنطقة"يعد

الاستعمار الفرنسي للجزائر العام 1830 بعثة عسكرية في قمة العنف"(بن قادة صادق،2013:51). فأوجدت المطمر كحامية عسكرية. ويمكن القول انه في المرحلة الثانية الممتدة ما بين 1849-1909: بدأ يبرز بشكل جلي وواضح بالمدينة البناء الأوروبي الحديث حيث تم تشييد حي lamarine في الشمال الغربي، وpépiniére في الجنوب الغربي، وحي Beymouth في الجنوب، إضافة إلى حي Saintjules شرق حي Beymouth. و تم إنشاء خط السكة الحديدية سنة 1900 المرتبط مع كل من ولايتي غليزان وتيارت. و قدشهدت المدينة في المرحلة الثالثة 1910-1962: تطور عمراني سريع مع توسع الأحياء المشيدة خاصة حي تجديت. و تم أيضا تشييد أحياء عصرية كMonplaisir في الشرق وصلامندر وظهور أحياء فوضوية كحي Raisinville والعرصة، ويمكن القول أنه خلال هذه الفترة كانت المدينة تتوسع بطريقة نصف دائرية حول الميناء وأصبح نمطها العمراني مزيج بين الطابع التقليدي و الحديث. و قد تعرف معظم المبحوثين على الأحياء التي أنشئت خلال الفترة الاستعمارية و يرجع ذلك لما يتميز به هذا النمط المعماري من خصائص وأيضا لتركزه بوسط المدينة و الأحياء المجاورة له.حيث "تحولت المدينة الاستعمارية بحلول القرن العشرين إلى حقل تجارب للنظريات المعمارية المجددة و أدوات و مناهج التهيئة العمرانية المبتكرة(JEAN-PIERRE G,1988 :45) و بعد أن نالت الجزائر استقلالها ظهرت **مدينة ما بعد الاستقلال.** ويمكن تقسيم مراحل هذا التوسع العمراني إلى ثلاثة فترات. الفترة الأولى ممتدة من"**1977-1998**":تميزت هذه المرحلة بظهور مجمعتين حضريتين جديدتين هما: المنطقة الحضرية السكنية الجديدة ZHUNI شرق حي تيجديت، تقدر مساحتها بـ 60 مكتار تضم 800 مسكن، إضافةإلى بعض المرافق الضرورية كالمدارس، المحلات التجارية وهي تدخل في نطاق التوسعات نحو الجهة الشمالية الشرقية للمدينة وفق مخطط التعمير الموجه (PUD) لسنة 1974م. والمنطقة الحضرية الجديدة ZHUN***II*** تقع في جنوب المدينة و التي تنتهي حدودها إلى الطريق الوطني رقم 23 و

تقدرمساحتها بـ 80 هكتار، تضم 1966 مسكن و أهم أحيائها 5 جويلية. بالإضافة إلى مشاريع البناء الذاتي كحي الحرية،جزء من حي الليمون(سيترولي)، وتوسع حي جبلي محمد والعقيد لطفي (Raisin ville) وقد كان هذا التوسع على حساب الأراضي الزراعية الخصبة.

الفترة الثانية **"1998-2008"**: تميزت هذه المرحلة بتوسع أقل أهمية من المرحلة السابقة و ذلك كنتيجة "للمأساة الوطنية-مما تسببفي التوقف الكلي لعمليات البناء والتعمير في المدن الجزائرية"(بشير ريبوح،2017:74).حيث عرفت المدينة إنشاء مجمعة حضرية ZHUNIII في الجهة الجنوبية الغربية والتي تضم أكثر من 3330 مسكن. إضافة إلى برنامج انجاز 14 ألف سكن داخل النسيج العمراني للمدينة. ارتكز معظمها بمحيط المدينة كحي خروبة و صلامندرو المنطقة الحضرية السكنية الجديدة ZHUNIII.

أما الفترة الثالثة من2008 إلى غاية وقتنا الحالي: فقد شهدت خلالها المدينة ثورة عمرانية سريعة و يرجع ذلك إلى الظروف الاقتصادية المريحة التي عرفتها البلاد. وتنوع البرامج و الصيغ السكنية المقررة و واجه النهضة في انجاز المشاريع السكنية مشكل نقص الوعاء العقاري، ما جعل النسيج العمراني للمدينة يتجه لتوسع على حساب أراضي تابعة للبلديات المجاورة كبلدية مزغران و صيادة و خير الدين و بن عبد المالك رمضان. وهو ما ساهم في رفع الضغط عن الاحتياط العقاري للمدينة. وقد تضمن البرنامج الخماسي 2010-2014 والبرامج التكميلية للولاية ما يقدر بـ 58863 وحدة سكنية، الجلي أنهقد تم تخصيص الحصة الأكبر من هذا البرنامج للسكن الحضري بـ30609 وحدة سكنية مقابل 28254وحدة سكنية خصصت لبرنامج السكن الريفي،كما أن بلدية مستغانم قد استفادة من حصة 227 وحدة سكنية فيما يتعلق بالسكنات العمومية الايجارية من مجمل حصة الولاية و المقدرة بـ2007 وحدة موزعة على 16 بلدية،و 77 وحدة سكنية فيما يتعلق بسكنات الترقوي الحر من مجمل حصة الولاية المقدرة بـ807وحدة سكنية،أي بنسبة 95.66% من حصة الولاية.وقدعرف

وسط المدينة عملية ترميم للبنايات القديمة وذلك في إطار إعادة تأهيل ورد الاعتبار للنسيج العمراني القديم. و تتوزع أنماط السكن بمدينة مستغانم حسب ما هو موضح في الجدول التالي:

النمط	جماعي	فردي	تقليدي	قصديري	آخر	غير مصرحة	المجموع
عدد المساكن	11835	10949	2314	509	97	22	25726
النسبة %	46	42.6	9	2	0.3	0.1	100

المصدر:المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير لمدينة مستغانم 2015م.

ويظهر من خلال قراءتنا للجدول بأن النمط العمراني السائد في البناء هو النمط الجماعي بنسبة 46% و هذه النسبة مرشحة للارتفاع بسبب تشجيع الدولة واعتمادها على هذه الصيغة في سياساتها السكنية.ونلمسمن إجابات المبحوثين حول رأيهم في الكيفية التي تتوسع المدينة بها اعتقادهم أن المدينة تتوسع بشكل عشوائي دون تخطيط وهو ما يبرز العشوائية في التسيير والتخبط الكبير لمؤسسات الدولة خلال تطبيق السياسات السكنية. إلا أن هذا لا ينفي وجود فكر تخطيطي استشرافي كفكرة إنشاء الحي الإداري بمنطقة صلامندر والذي يظم أغلب المقرات والمديريات الإدارية إذ صرح العديد من المبحوثين بإعجابهم بفكرة تجميع الإدارات في منطقة عمرانية واحدة.

ولكن وبالرغم من كل هذه الإحصاءات الهامة إلى أن السياسة التوسعية للمدينة تواجهها مجموعة من العوائق والعراقيل طبيعية وتقنية، الأمر الذيدفع بالسلطات المحلية إلى البحث عن طرق تمكنها من حل هذا المشكل. و يمكن القول أن أهم العوائق الطبيعية تتمثل في طبيعة الأراضي الفلاحية الخصبة في الجهة الجنوبية للمدينة،والمنحدرات في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة بميل يتعدى 15%، إضافة إلى المساحة الغابية الموجودة في الجهة الشرقية للمدينة، ووادي عين الصفراء الذي يشكل عائق لاستغلال المساحات العقارية داخل النسيج الحضري.

أما العوائق التقنية والتي تتمثل في المصانع التحويلية و التي تعتبر من المشاكلالإضافية التي تحد من اتساع المدينة بسبب النفايات التي تفرزها والمخاطر التي تشكلها مثل الخطوط الكهربائية ذات الضغط العالي. يضاف إلى ذلك تأخر تسليم العديد من المشاريع المبرمجة كالمشاريع السكنية،ومشروع المستشفى الجامعي المعطل منذ 10 سنوات و مشروع الترامواي الذي عرف إتمامه تأخرا كبيرا. و إلى جانب هذه العراقيل هناك مشكل الأراضي الخاصة أي التي تعود ملكيتها إلى الخواص وهو مما يستوجب على السلطات أحيانا شراء الأراضي من ملاكها.و بالرغم من هذا إلا أن المدينة ليست مجرد رقعة جغرافية مجردة أو مجموعة من البنايات الجامدة .المدينة حياة و هي تعيش داخل وجدان السكان كما هم يعيشون داخلها وهو ما يبرز من خلال إجابات المبحوثين إذ نجد أن سكان مستغانم متعلقين و يحبون مدينتهم الحالية كثيرا خصوصا فئة الكهول إلا أن هذا الحب لم يمنع معظم المستجوبين في التعبير عن عدم رضاهم على البرامج التنموية التي تشهدها المدينة." من هنا يتبين لنا أهمية المجتمع المدني في البرمجة والتخطيط والدراسة والتسيير في مجال العمارة و البناء".(بشير ريبوح،2017:116). إذ يعتبروا أن السلطة لم تستغل مميزات المدينة خصوصا طابعها السياحي بالطريقة المثلى ما نتج عنه العديد من المشاكل خصوصا خلا فصل الصيف أين تعرف المدينة استقطابا سياحيا من جميع ربوع الوطن و حتى من البلدان الأجنبية. من مشاكل في الطاقة و النظافة و الازدحام و نقص في الخدمات.ولذلك فإن "نظرتنا إلى العمارة يجب أن تبدأ من الخلف، من التاريخ و التقاليد حتى نسير بها إلى الأمام"(محمود الذوادي, 1997: 3) كما لاحظنا تذمرا كبيرا من قبل المستجوبين نتيجة البطء في انجاز المشاريع التنموية خصوصا مشاريع السكن و حتى من الناحية الهندسية فالعمارات التي تسمح للجميع بولوجها و الوصول الى باب المسكن جعل الكثير من السكان يرغب و يسعى للرحيل عنها، و هو الأمر الذي "لا يسمح بتكوين علاقات الجيرة و إثراء العلاقات الاجتماعية داخل الأوعية الحضرية "(باشا احمد, 2011 : 162) و هو ما يساهم في العزلة الاجتماعية و عدم التواصل و الانكفاء على الذات "بسبب

غياب التاريخ والانتماء الجماعي" (HADJIJ D ,2001 :397) ، بمعنى أن عدم الاستقرار يساهم في تلاشي العلاقات الاجتماعية.و بتالي فقدان الشعور بالانتماء إلى المكان ومنه عدم الشعور بالمسؤولية اتجاه ذلك الفضاء.وهو ما استنتجناه من خلال إجابات المبحوثين .

3. .خصائص و مميزات سكان التجمعات الحضرية:

انطلاقا من نتائج الدراسة الميدانية يمكن القول أن مجتمع البحث أو الدراسة (القاطنين بالتجمعات السكنية الحضرية) يتميز بمجموعة من الخصائص يمكن حصرها فيمايلي:

1.3متكامل باعتبار الأسر المكونة لهذا التجمع تأتي من بيئات و مناطق مختلفة "مناطق حضرية، ريف، مناطق من مدن مجاورة ....الخ"أي انه مزيج من التركيبات العصبية، متكامل من حيث المهن حيث نجد داخل الحي الواحد تنوع في الفئات المهنية التي ينتمي إليها رب الأسرة)تعليم ،تجارة،حرفيين،إدارة...الخ". و منه و بناء على ما سبق ذكره يمكن القول أن التجمعات السكنية تتدرج من وحدات متجانسة إلى أخرى متعددة أو فسيفسائية حسب درجة الاختلاف و تنوع الأسر المشكلة للحي السكني.

2.3 متعدد:باعتباره تجمع يتألف من العديد من الأسر المختلفة والتي لكل منها ثقافتها الخاصة نوعا ما ويمكن القول أن العلاقة بين هذه الأسر تتراوح بين عمليتي التعايش والنزاع ،التوافق أحيانا وعدم القدرة على التوافق و الاتفاق في مواضيع أخرى الأمر الذي يؤدي إلى نشوب خلافات و هذا ما ظهر من خلال إجابات المبحوث حول العلاقة الودية الغالبة بين السكان إلا أن هذا لا يمنع وجود شجارات و مشاحنات بسبب شجار بين الأطفال أو الإزعاج من طرف الجيران هذا المشكل ظهر بأنه هاجس يؤرق الكثير من السكان حيث أن هناك لا يراعي حق الجوار و يقوم بأعمال و يصدر أصوات عالية تسبب الإزعاج للجيران خصوصا أثناء لعب أطفال الجيران داخل منزلهم، كذلك التلفظ بخطاب وألفاظ نابية يسمعها الجيران بسبب الهندسة المعمارية للحي السكني ويمكن رد ذلك نتيجة الفروقات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية بين مكونات التجمع السكني

الواحد. كما أن طبيعة من يشغل السكنات داخل التجمعات متعددة من مالكين،مستأجرين،أو مستأجرين موسميين.

3.3قوة اقتصادية وسياسية: يعتبر التجمع السكني الحضري قوة اقتصادية وسياسية جد هامة وذلك راجع إلى ما يضمه في تركيبته المتنوعة من قدرات وطاقات مهنية وهو كتلة انتخابية هامة في حالة توحدها واتفاقها في القضايا السياسية كالعملية الانتخابية المحلية و الإقليمية مثلا.

4.3متحرك وغير مستقر نسبيا: التجمع السكاني يعتبر مركز انتقالي أو محطة عبور للكثير من الأسر المكونة له و ذلك من خلال الحركية التي تعرفها الأسر الوافدة و النازحة منه أو إليه نتيجة عدم رضا الكثير من السكان به لهذه الصيغة السكنية إضافة إلى المستأجرين الذين يقطنون بالحي لوقت معين نتيجة أزمة السكن التي تجعلهم مجبرين على استئجار شقق سكنية من أصحابها الأصليين. أو بصفة موسمية (خلال فترة الصيف نظرا لطابع المنطقة السياحي).

4.البيئة والسكان والتفاعل بينهما:

1.4البيئة: يقصد بها الموقع الذي يقع عليه التجمع الحضري حيث يتواجد هذا الأخير في بيئة طبيعية ممتدة تتميز بالاتساع، أرضية البناء تتميز بطابعها الرملي الخصب والتي كانت تتوفر غلى غطاء نباتي قبل غزو العمران و الاسمنت المسلح لها.يقع الحي تحديدا في أعلى هضبة الظهر في أقصى الجهة الشرقية لمدينة مستغانم خلف حي الوئام المعروف بحي الرادار، مقابل لشاطئ البحر أسفله يوجد حي خروبة، أما جنوبا تحده أراضي زراعية تمتد إلى بلدية صيادة ومن الجهة الشرقية تنتشر سكنات فردية يقوم أصحابها بشراء الأراضي و البناء عليها. الحي موصول بخدمات الكهرباء و الماء و الغاز الطبيعي، كما أن كل عمارة تتكون من طابق أرضي إضافةإلى خمس طوابق سكنية في كل طابق 4 شقق سكنية من نوع (F 3) أو (F4)، و كل 5 عمارات متصلة مع بعضها في مجمع صغير،أمام كل تجمع مساحة مخصصة كحظيرة للسيارات و أيضا مساحة مخصصة للعب و الترفيه خاصة

بالأطفال إلا أنها تعتبر مساحة جد صغيرة ما يجبر الأطفال على اللعب في حظيرة السيارات أو سلالم العمارات. نجد أمام مدخل العمارة هاتف خاص لفتح البوابة حسب رقم المسكن،ومباشرة عند ولوج العمارة نجد صندوق الرسائل البريدية مرقمة حسب عدد مساكن كل عمارة و البالغ عددها 24 مسكنا.

2.4السكان: يزيد مجموع عدد السكان داخل الحي السكني 6 آلاف نسمة حسب تصريح المتصرف المكلف بتسيير الأجزاء المشتركة و هو عدد مرشح للارتفاع نظرا لمعدل الزيادة الطبيعية و المتوسط العمري للأسر القاطنة به (القادرة على الإنجاب). كما نلحظ من خلال إجابات المبحوثين أن سكان هذا التجمع الحضري هم قادمون من بيئات اجتماعية مختلفة هناك من كان يسكن بمركز المدينة و هناك من كان يسكن سابقا في البلديات المجاورة لمدينة مستغانم و هناك من كان يسكن في ولايات أخرى بسبب ظروف العمل أو النسب و يرجع هذا التنوع الى طريقة الحصول على السكن بهذا المجمع الحضري و التي كانت عن طريق التسجيل الالكتروني في البوابة الوطنية للسكن و العمران .

أما فيما يخص التفاعل بين البيئة و السكانأي العلاقة بين البيئة العمرانية والسكان القاطنين بها (تأثير و تأثر). نجد أن المحيط البيئي للمجمع السكني يتميز بالنظافة نسبيا كما أن الحالة الفيزيائية لهيكل العمارات هي في حالة جيدة و سليمة و هذا راجع إلى وجود جهاز مسؤول عن تسيير الأجزاء المشتركة للمجمع الحضري يسهر على تصليح الأعطاب الخارجية و نظافة السلالم و المحيط ، إلا أنه هناك غياب آلية لتجميع النفايات ما يجعل السكان يتنقلون إلى مسافة بعيدة لرمي الأوساخ. و يقوم سكان الحي بدفع الأعباء المترتبة عن هذه الخدمات المقدمة كما هو موضح في الوصل المرفق.(أنظر الملحق رقم 3)

بالنسبة للخدمات الإدارية والتجارية و حتى الدينية (المسجد) فهي منعدمة داخل الحي ويضطر السكان إلى التنقل إلى الأحياء المجاورة لتلبية حاجاتهم و تقتصر المرافق الموجودة بالقرب من التجمع على المرافق التعليمية متمثلة في مدرستين ابتدائيتين ومتوسطة أما

الثانوية فهي جاهزة لكن ليست مستغلة. أما فيما يخص النقل من و إلى مركز المدينة فهو متوفر بالنسبة للحي سوء عبر الحافلات العمومية و الخاصة أو سيارات الأجرة.

بالنسبة للعيش داخل الحي يمكن القول أننا نلمس لدى العديد من السكان رضا وقبول و شعور بالانتماء لهذه البيئة المتواجدين بها وذلك لاعتبار أن هذا الفضاء هو مكان استقرارهم و فيه سيقضون بقيت حياتهم، وهو لا يلغي بعض حالات النفور ورفض وعدم تقبل للوضع و وجود حالة من الاغتراب و الرفض لدى السكان لمعيشهم داخل هذا المجمع السكني و ذلك على حسب موقفهم من العيش و الاستقرار بهذا التجمع فمنهم من يفضل السكن الفردي و لا يجد راحته في السكن بشقة و إنما هو مجبر على العيش داخلها لعدم وجود خيار آخر بل هو مستعد للرحيل و تغيير المسكن في حال توفر فرصة، إضافةإلى من هو مستأجر من صاحب المسكن الأصلي و ليس مالكا للسكن و بالتالي يعتبر تواجده بهذه البيئة هو مجرد حل مؤقت وهوما ينعكس على شخصية و سلوك كل ساكن داخل الحي. ومن خلال هذا التفاعل بين السكان والبيئة العمرانية يمكننا تسجيل مجموعة من النقاط كالتالي:

أ- التجمع السكني الحضري يعتبر مجموعة اجتماعية قائمة بذاتها

ب- التجمع السكني الحضري هو عبارة عن تجمع ديناميكي كونه في حالة سيرورة وهو في حالة تغير مستمر نتيجة عوامل وقوى داخلية وخارجية و هي في حالة تطور وتحول في مكوناته الفيزيائية(تغيرات في هندسة وشكل المسكن)، أو الإنسانية مايغير في هوية الحي والثقافة السائدة،أوضاع وظروف العيش، التواصل داخله.

ت- الإنسان وطبيعته حيث أنه هو المكون الأساسي داخل التجمع وهو محور الدراسة يعتبر كائن اجتماعي بطبعه. ينشأ و يتكون من خلال التفاعل الاجتماعي وليس بالعزلة عن الآخرين،كما أنه لا يولد كائنا جاهزا تماما و لكن شخصيته وهويته و نفسيته تتكون بفعل التفاعل الاجتماعي.

ث- الحي السكني بيئة تضم متناقضات (عدم الرضا أوالرضا،الشعور بالانتماء أو عدمه إلى الحي).

ج-الأفراد والجماعات المشكلة للحي في حالة كفاح مستمر لتأمين معيشتهم والاعتناءبحاجياتهم و تحقيق ما ترسمه لنفسها من أهداف و غايات.

5.التجمع الحضري بين التنوع و التجانس:سنحاول خلال هذا المحور التطرق الى جانب مهم من جوانب العيش المشترك داخل الحي السكني و هو الصراع بين عوامل الوحدة وعوامل الفرقة داخل الحي من خلال:

1.5-الانتماءإلى الحي السكني:إن الشعور بالانتماء إلى الحي السكني هو شعور بأن هذا السكن الذي أعيش به هو قطعة من الروح أو القلب و ليس عبارة عن سكن أنام فيه وفقط.

الشعور بالانتماء إلى الحي يجعل من القاطن به يعتبر الحي بمثابة الحاضنة أو الأم – إن ارتباط الجزائري بأرضه ارتباط أصيل فهي تمثل عنده العرض و الجسد على أساس فرد من الأهل فأصبح مفرد السكن أو الدار بالعامية ملازما للزوجة التي هي شرف و عرض الرجل.

- إن الشعور بالانتماء الى مكان ما يجعل من الشخص يرغب في قضاء وقت كبير فيه لا يهرب منه يسعى لحمايته و المحافظة عليه، في حين أن العكس يجعل من الفرد يرغب في الهروب و الانصراف عنه و عدم الرغبة في البقاء فيه و أن يعتبر نفسه غريب عن هذا الفضاء، و نلاحظ أن أغلب المبحوثين يعتبرون تواجدهم بالحي هو من أجل الراحة و النوم و الهروب من زخم الحياة و هذا راجع الى الفقر الكبير في المرافق داخل الحي.

- الانتماء الى الحي ليس هو فقط انتماء الى مجال فيزيقي و إنما هو شعور بالانتماء الى جماعة وبيئة اجتماعية أحمل همومها و أدافع عنها و أتبنى خطابها و أتحدث لغتها و ما استنتجناه من إجاباتالمبحوثينإن الشعور بالانتماء الى جماعة الحي هو ضعيف و قيد التشكل و يمكن إرجاع ذلك لحداثة هذا التجمع الحضري.
- وحتى الشعور بالانتماء هل هو حالة من الرضا والقبول أو نتيجة لظروف معينة،ما يترك حالة من الشعور بالقهر و الاغتراب و اللاإنتماء، و ما لمسناه من خلال إجابات المبحوثين أن هناك اختلاف في في الرضا عن السكن فهناك من هو مقتنع بهذا النمط العمراني و يشعر بالرضا لتواجده داخل هذا المحيط في حين هناك من يتمنى الانتقال من هذا النمط المعماري و هو غير راض عن تواجده بهذه البيئة و هو يفضل سكن فردي أو سكن أوسع.

2.5الثقافة المشتركة : يمكن قياس مدى التجانس و التناسق داخل الحي من عدمه من خلال مدى وجود ثقافة مشتركة، فالثقافة التي تشير في معناها الانثروبولوجي إلى مجمل أساليب المعيشة و طرق الحياة اليومية، و تشمل بين عناصرها رؤية عامة للواقع و مبادئ و مفاهيم و قيم و تقاليد و معتقدات و معايير و مهارات و قوانين و مواقف تحدد السلوك اليومي. منه يمكن القول و الإشارةإلى وجود ثقافة مشتركة داخل الحي تتكون اتجاه التحديات التي تواجه الجماعة و إضافة إلى ضرورة تلبية بعض الحاجيات مثل: شراء خيم لاستخدامها في حالة وفاة. ضرورة وجود مسجد داخل الحي الذي يعتبر أمر ملح وضروري في ثقافة المجتمعات الإسلامية يحتم على سكان الحي التحلي بقيم العمل التشاركي و الفكر التطوعي من أجل تحقيق تلك الغاية.

نظافة الحي والعيش في بيئة سليمة و نظيفة يحتم على أفراد الجماعة التحلي بقيم النظافة والسلوكات السليمة كرمي القاذورات في أماكنها المخصصة وكذالك إخراجها في

أوقات مخصصة، فالفرد داخل الجماعة هو مجبر على قبول ما تفرضه من شروط للبقاء داخلها.

جمالية البيئة المحيطة أيضا تفرض على أفراد وسكان الحي التحلي بقيم وسلوكات التي تعنى بجمال الفضاءات الخارجية ،تزيين المحيط و حمايته إذا نستنتج أن العيش داخل هذه الفضاءات يكسب السكان ثقافة اجتماعية مشتركة تكون نتيجة لما تواجه الجماعة ككل من تحديات. و منه يمكن اعتبار أن الثقافة التي تنتج داخل التجمع الحضري هي نتاج أوضاع و مصادر متنوعة يكون التفاعل معها معقد دائم متكرر ومستمر، كذلك يجب التذكير بأن نمط السكن العمودي يتطلب ثقافة عيش خاصة به تختلف عن نمط السكن الأفقي و بالتالي لتفادى التصادم بين السكان لابد من وجود ثقافة عيش خاصة بهذا النمط العمراني،ويجب على السكان التحلي بها.

3.5التواصل و الاتصال بين سكان الحي: إن التواصل بين الأسر داخل التجمع الحضري هزيل و ضعيف للغاية الأمر الذي يحد من إمكانية التوحد و تجاوز المسافات النفسية والاجتماعية بين الأسرة القادمة من أقطار مختلفة لتكوين بنية موحدة، فلكل أسرة توجهاتها،و نظامها و ارتباطاتها المنفردة. تصل لدرجة أننا نجد أسرا داخل الحي تعيش عزلة عن وسطها المحلي أو المتاخم وما يزيد من هذه العزلة الظروف المهنية لأرباب الأسرة ومواقيت العمل تزيد من التباعد.ورغم هذا الواقع إلا أننا نلمس لدى السكان رغبة في التقارب والتعارف وهناك تشوق لاكتشاف الآخر، فكثيرا ما يكون اللقاء وديا إلا انه غالبا ما يكون محدودا (التقاء في محل تجاري، أمام باب المدرسة،داخل سلالم العمارة...).

6.الخاتمة:

إن محاولة الفهم لواقع العيش المشترك داخل التجمعات السكنية الحضرية يجعلنا نتدارك الأخطاء التي تحدث من جراء انجاز برامج شاملة في البلاد من أجل الإسكان والتعمير، "فهدف الهندسة المعمارية هو استيعاب إطار الحياة اليومية العادية للناس ".(بشير ربيوح،2017:229).حيث أنه يجب دائما الأخذ بالاعتبار بنية و ميزة المجتمع قبل اتخاذ إجراءات

ذات طابع اقتصادي محض فيما يخص السكن، ففكرة أن المسكن هو آلة لسكن قد أثبت فشلها و عدم فاعليتها فالمسكن هو فضاء للعيش والحياة وليس مجرد مرقد أو مكان للنوم.حيث "أن تقييم الجهاز القانوني الذي يهتم بالتجمعات السكنية والمدينة من خلال الأدوات القطاعية يبين بوضوح الفراغ الكبير وعدم التكفل بالنقائص" (بشير ربيوح،2017:229). إن العيش داخل تجمعات سكنية تضم عدد كبير من السكنات في مساحة جغرافية محدودة نسبيا قدم حلول جغرافية من خلال ربح أوعية عقارية لكنه في نفس الوقت أثر على العلاقات الاجتماعية بين الناس هذا التغيير ناتج عن التأثر بالفضاء العمراني. كما أن عدم تقبل السكان لهذا النمط العمراني يجعل منه فضاء فقير دون روح وسريع التداعي والانهيار فقلة المساحات الخضراء، وصدر مساحات و فضاءات اللعب و عدم ملاءمتها جعلها تفشل في تحقيق غاياتها.

ومنه لا يجب الاهتمام بالكم فقط فيما يخص السكن بل من الضروري الاهتمام بنوعية الحياة التي تقدمها هذه التجمعات السكنية من أجل تحقيق درجة عالية من رضا لدى السكان و تحقيق أيضا قدر عالي من الجمالية و النشاط داخل المحيط الحضري.

قائمة المراجع:

- ابن خلدون،(1968).*"تاريخ العلامة ابن خلدون"*. المجلد الأول ،ط3 ،بيروت :دار الكتاب اللبناني.
- الهادي، لعروق، (1984)."*مدينة قسنطينة دراسة جغرافيا العمران*"،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الذوادي، محمود،(1997)."*في الدلالات الميثافيزيقية للرموز الثقافية*". عالم الفكر. المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب،العدد3،الكويت.
- باشا، حاج محمد،(2011)."*اشكالية العمارة و الممارسة*" .رسالة دكتوراه غير منشورة لنيل شهادة دكتوراه علوم في (علم الاجتماع)،جامعة وهران،الجزائر.
- بن قادة، صادق. (2013)."*معارف عسكرية وحداثة عمرانية كولونيالية".دفاتر مجلة انسانيات. العدد (04)(51-64).*

- بوتفنوشت، مصطفى،(1984)."*العائلة الجزائرية*"، ترجمة: دمري احمد ،الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
- ريبوح، بشير،(2017)."*المدينة الجزائرية العوامل والفاعلون*" . *الجزائر: دار بهاء الدين.*
- زوليف، مهدي. تحسين طراونة، (1998)."*منهجية البحث العلمي*"، عمان: دار الفكر.
- BONETTI M,(1994). *"Habiter le bricolage imaginaire de l'espace Hommes et perspectives* ",paris :Epi.
- DRIS N.(2005), *"le sens des formes urbaines, espace et sociétés*" ,n03,paris.
- ERNY P,(1999). *"cultures et habitats, douze contribution a une ethnologie de la maison*",paris,l'Harmattan.
- HADJIJ EL Djounid,(2001),"*urbanification de l'espace,le cas de la ville d'Oran*. Thèse pour l'Obtention du doctorat d'Etat, (département de sociologie),université d'Oran Es-Senia , Algérie.
- HADJIJ E,(2006),"*Enquêter sur son propre terrain, Athropopages*" , terrains vécu, terrains revécu",Edition Ici et Ailleurs-GREA,N°5-6,Mars.
- QUIVY R. CAMPENHOUDT LC,(1995*), "Manuel de recherche en sciences sociales"*, Paris:Dunod.

الملاحق:

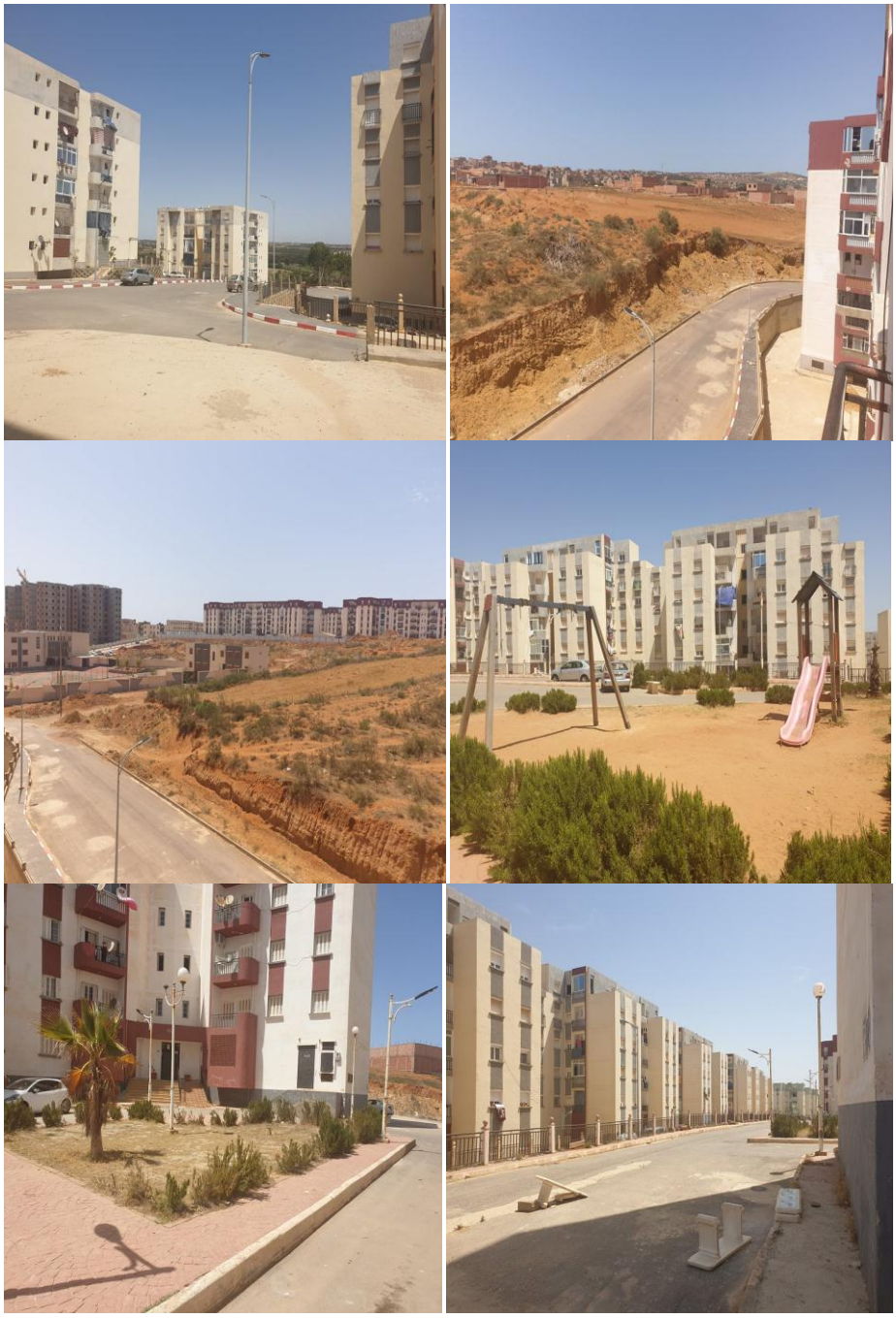

الملحق رقم 01: صور توضح موقع الحي السكني و فضاءاته

الملحق رقم 02: يوضح مشتملات العمارة السكنية

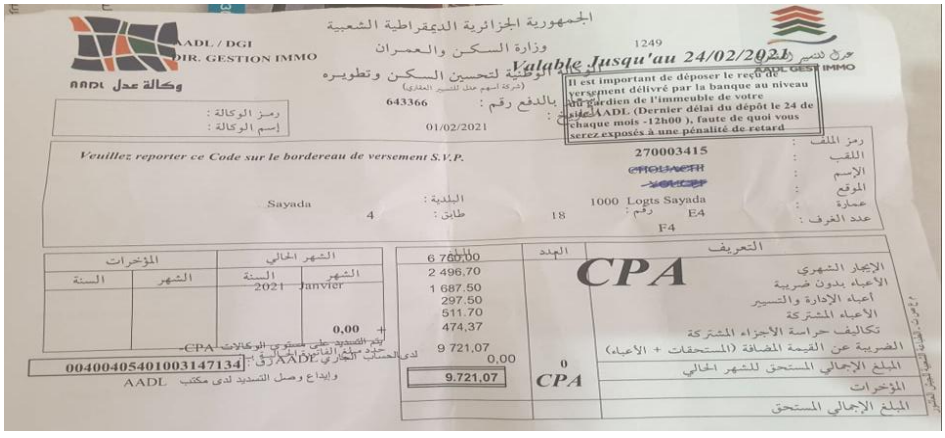

الملحق رقم 03 : يمثل وصل الكراء و مصاريف الأعباء المشتركة